

المعمودية الكتابية

القس إسبر عجاج

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

تلخيص الكتاب

المعمودية هي أمر وفريضة إلهية أوصى بها الرب قبل صعوده حيث نرى الكتاب المقدس يعطي أهمية كبيرة للمعمودية بالماء وتبدو هذه الأهمية في تكرار الحديث عنها في الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل وبعض الرسائل مقدماً الوحي شرطين لإتمام المعمودية : ١- الإيمان بالمسيح رب ومخلص ٢- التوبة الصادقة من إنسان بالغ مانحاً الرب للمعتمد المؤمن بركات منظورة ١- بركة الانتساب إلى موت المسيح ودفنه وقيامته ٢- الشهادة ٣- الطاعة ٤- الإتحاد مع المسيح بموته وقيامته.

الفصل الأول: المعمودية الكتابية

يعطي الكتاب المقدس أهمية كبيرة للمعمودية بالماء. وتبدو هذه الأهمية في تكرار الحديث عنها في الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل وبعض الرسائل. ففي حديث الرب يسوع لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء قال لهم:

"فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". (متى ٢٨: ١٩)

وفي عظة بطرس الرسول يوم الخمسين والتي ذكرت في أعمال الرسل الإصحاح الثاني، يقول الكتاب "فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة. فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس. لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب إلهناء. وبأقوال أخر كثيرة كان يشهد لهم ويعظهم قائلاً اخلصوا من هذا الجيل الملتوي. فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس". (أعمال ٢: ٣٧ - ٤١).

في هذه العظة يسرد لنا بطرس الرسول سبعة أمور هامة يذكرها بالترتيب وهي:

١ _ سماع كلمة الله. "فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم...." إن أول خطوة للخلاص هي سماع كلمة الله. يقول الرب يسوع: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة". (يوحنا ٥: ٢٤) فالسماع أولاً ثم الإيمان. "...كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به،..." (رومية ١٠: ١٤) "... وكثيرون من الكورنثيين إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا" (أعمال ١٨: ٨). فسماع كلمة الله هو الخطوة الأولى من الخطوات الرئيسية لخلاص الإنسان. ولا يمكن لأي إنسان أن يخلص ما لم يسمع عن كيفية الخلاص إذ "... كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به، وكيف يسمعون بلا كارز" (رومية ١٠: ١٤).

٢ _ الكلمة الثانية التي يستخدمها بطرس في عظته هي كلمة نخسوا. "فلما سمعوا نخسوا" والنخس هو التنبكيت على الخطية. فالروح القدس يستخدم "...سيف الروح الذي هو كلمة الله" (أفسس ٦: ١٧) لكي ينخس به قلب الإنسان ويريه رجاسة خطيته بالنسبة لقداسة الله فيصرخ: "ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت". فيأتيه الجواب "اشكر الله بيسوع المسيح ربنا". (رومية ٧: ٢٤ - ٢٥) الذي مات لكي يخلصنا بموته ويظهرنا بدمه الغالي الثمين. "ومتى جاء ذاك (أي الروح المعزي) بيكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي" (يوحنا ١٦: ٨ - ٩).

٣ _ الكلمة الثالثة التي يستخدمها بطرس الرسول في عظته هي التوبة. "فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا". فالإنسان لا يمكن أن يتوب ما لم يسمع كلمة الخلاص وينخسه روح الرب بمنخس سيف الروح الذي هو كلمة الله، عندئذ يشعر الخاطيء بثقل خطايه الكثيرة ويتوب عنها. "فإنه الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل". (أعمال ١٧: ٣٠).

٤ _ الكلمة الرابعة في عظة بطرس الرسول هي القبول. "فقبلوا كلامه بفرح" لقد خلق الله الإنسان ومنحه حرية القبول أو الرفض. "...قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك". (تثنية ٣٠: ١٩). فقبول الإنسان لكلمة الرب أو رفضها يتعلق في رغبته

وإرادته. يقول الرسول يوحنا: "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يوحنا ١: ١١ - ١٢) ثم يقول داود في المزمور الثاني: "قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل ينقد غضبه، طوبى لجميع المتكلمين عليه" (مزمور ٢: ١٢). وهنا كلمة قبلوا الابن تعني قبلوا الابن قبلة القبول وأقبلوه. ثم يقول كلمة في غاية الأهمية، "طوبى لجميع المتكلمين عليه" أي طوبى لجميع المتكلمين على الابن. فكل من يتكل على الابن ويؤمن به ويقبله رباً على حياته ومخلصاً لنفسه فله الطوبى والحياة الأبدية لأن "من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (١ يو ٥: ١٢) وأيضاً "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣: ٣٦) و "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليخلص بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد". (يوحنا ٣: ١٧ - ١٨).

٥_ الكلمة الخامسة في عظة بطرس الرسول هي المعمودية. "فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا" إن إلها ليس إله تشويش وفوضى بل إله ترتيب إذ رتب لنا هذه الكلمات ووضعها في وضعها الزمني بحيث لا يمكن لأية عملية أن تستبق الأخرى. فلا يمكن للإنسان الخاطئ أن يبكته روح الله ويخلص ما لم يسمع كلمة الخلاص ويخلص، كما لا يمكن لهذا الإنسان أن يتوب ما لم يبكته روح الله وينخسه بمنخس "سيف الروح الذي هو كلمة الله" (أفسس ٦: ١٧) وأيضاً لا يمكن لهذا الإنسان أن يقبل المسيح ويقبل إلى المسيح ما لم يتب عن خطايه ثم بعد ذلك يقبل المسيح مخلصاً لنفسه ورباً على حياته ويعتمد بالماء.

٦_ الكلمة السادسة في عظة بطرس الرسول هي الانضمام إلى الكنيسة. "فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس". ربما تسأل هل اعتمد الثلاثة آلاف شخص بالتغطيس بعد أن آمنوا؟ والجواب نعم. لقد اعتمد أربعة آلاف شخص بالتغطيس في كوريا في ست ساعات.

٧_ الكلمة السابعة في عظة بطرس الرسول هي المواظبة على الاجتماعات. "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات". (أعمال ٢: ٤٢).

هل المعمودية أمر إلهي

إن المهمة العظمى التي تركها الرب يسوع لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء تأمر بالمعمودية حسب قول الرب. "...، دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر". (متى ٢٨: ١٨ - ٢٠).

وفي بيت كرنيليوس بعد أن سمع وجميع من في بيته من بطرس عن الخلاص، يقول الكتاب أنه حينئذ أجاب بطرس وقال: "أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً. وأمر أن يعتمدوا باسم الرب....." (أعمال ١٠: ٤٧ - ٤٨) فكلمة أمر أن يعتمدوا تدل على الضرورة.

وفي عظة بطرس في يوم الخمسين عندما سأل الرجال الذين قبلوا المسيح. "...ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة. فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فقبلوا عطية الروح القدس". (أعمال ٢: ٣٨).

ما هي البركات الروحية التي يحصل عليها المؤمن عندما يعتمد؟

• البركة الأولى هي بركة الانتساب إلى موت المسيح ودفنه وقيامته. "فدفنا معه بالمعمودية لموت حتى كما أقيم المسيح من الموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضاً في جذة الحياة (أي في الحياة الجديدة)" (رومية ٦: ٤)

• البركة الثانية هي بركة الشهادة. إننا نشهد بإيماننا بالإله الواحد المثلث الأقانيم. وأيضاً نشهد عن عمل المسيح الكفاري من أجلنا بأنه مات من أجل خطايانا ودفن وقام في اليوم الثالث. ففي المعمودية نعلن بأننا متنا عن العالم. والموت هنا هو الانفصال عن العالم والاتصال بالرب.

• البركة الثالثة هي بركة الطاعة. وبما أن المعمودية أمر إلهي فيجب أن نعطيها ولا نكون رافضين: "وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه (أي من يوحنا المعمدان)" (لوقا ٧: ٣٠)

• البركة الرابعة هي بركة الاتحاد بالمسيح. "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع". (غلاطية ٣: ٢٦ - ٢٨).

والآن يا من قبلت المسيح مخلصاً لنفسك ورباً على حياتك وأمنت بعمله الكفاري من أجلك على الصليب. "والآن لماذا تتوانى، قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب" (أعمال ٢٢: ١٦)، "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص". (رومية ١٠: ١٣).

الفصل الثاني: المعمودية معناها وكيفية ممارستها

إن كلمة معمودية باللغة اليونانية (الأصلية) هي كلمة **Baptizo** ومعناها يغطس أو يغمس وفي اللغة الألمانية **Deepon** وهي بالإنكليزية عبارة **To dip in** وأيضاً أخذت منها كلمة **Baptism** وتعني التغطيس أو التعميد. وبما أن الكتاب المقدس لم يكن في ذلك الحين قد ترجم إلى الكثير من اللغات فإن جهل بعض قادة الكنائس في ذلك العصر قد سمح بأن تدخل بعض التقاليد والطقوس إلى الكنيسة، وهي تقاليد وطقوس لا أساس لها من الصحة حسب كلمة الله الواضحة والصريحة. فلنتابع معاً ما تقوله كلمة الله عن المعمودية لأنها المرجع الأول والأخير لإيماننا.

لقد ترجمت الكلمة بمعنى "يعمد" في الآيات التالية:

"وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن. وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه. وكان صوت من السموات، أنت ابني الحبيب الذي به سررت" (مرقس ١: ٩ - ١١)

"فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه" (متى ٣: ١٦)

"وكان يوحنا أيضاً يعمد في عين نون بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون". (يوحنا ٣: ٢٣).

"وفيما هما سائران في الطريق أقبل على ماء، فقال الخصي هوذا ماء، ماذا يمنعني أن أعتمد. فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله. فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي فعمده". (أعمال ٨: ٣٦ - ٣٨).

"أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة". (رومية ٦: ٣ - ٤).

"مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (كولوسي ٢: ١٢).

كما وترجمت أيضاً بمعنى "يغمس" في الآيات التالية:

"أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاه لليهوذا الإسخريوطي". (يوحنا ١٣: ٢٦).

"وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله". (رؤيا ١٩: ١٣).

من هذه الشواهد الكتابية الواضحة نرى أن التغطيس كان الوسيلة الوحيدة للمعمودية، فيوحنا عمد في الأردن حيث المياه الكثيرة. والمياه الكثيرة تعني أن المعمودية كانت بالتغطيس لأن الرش لا يحتاج للمياه الكثيرة. ولما عمد فيلبس الخصي الحبشي يقول الكتاب. "فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي فعمده". وبما أن المعمودية هي رمز لموت ودفن وقيامه فالتغطيس كان الوسيلة الوحيدة الصحيحة للمعمودية.

ماهية معمودية يوحنا المعمدان

"وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات. فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب، اصنعوا سلبه مستقيمة". (متى ٣: ١ - ٣).

وكتب يوحنا الرسول عن يوحنا المعمدان بأنه "أجابهم يوحنا قائلاً أنا أعمد بماء، ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه، هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه". "وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم". (يوحنا ١: ٢٦ - ٢٧ و ٢٩).

لقد كان القصد من معمودية يوحنا هو تهيئة اليهود لاستقبال المسيا. "ويتقدم أمامه (أمام الرب يسوع) بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهبئ للرب شعباً مستعداً". (لوقا ١: ١٧) وأيضاً لكي يعلن لهم أن المسيح هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم. وهذا ما حدث فعلاً، إذ عندما جاء يسوع ليعتمد من يوحنا "ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ. فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، حينئذ سسمح له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وأتياً عليه، وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٤ - ١٧). وكلمة المسيح هنا "يليق بنا أن نكمل كل بر" أي بر الناموس. فالمسيح أكمل بر الناموس ومطالبه، "لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فأنه إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح". (رومية ٨: ٣ - ٤) "وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح

إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون، لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع". (رومية ٣: ٢١ - ٢٦).

لقد اعتمد المسيح من يوحنا لكي يعمل رمزياً ما كان مزماً أن يفعله عملياً بموته على الصليب ودفنه وقيامته.

فاليهود كانوا يأتون ليعتمدوا من يوحنا للتوبة ومغفرة الخطايا على أساس إيمانهم بالمسيا الآتي. وهذا ما دونه لنا الوحي الإلهي في سفر الأعمال عندما كان أبلوس وبولس في كورنثوس أنهما وجدا تلاميذ "فقال لهم فيماذا اعتمدتم، فقالوا بمعمودية يوحنا. فقال بولس إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي بعده أي بالمسيح يسوع. فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع". (أعمال ١٩: ٣ - ٥).

المعمودية ومائدة الرب (كسر الخبز)

لقد ترك لنا الرب فريضتين أساسيتين وهما المعمودية ومائدة الرب وكلتاها ترمزان إلى موت ودفن وقيامته.

ففي فريضة كسر الخبز يقول الكتاب بأن الرب يسوع "أخذ خبزاً وشكر وأعطاهم (التلاميذ) قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم". (لوقا ٢٢: ١٩ - ٢٠).

وبولس الرسول يكتب لنا بنفس المعنى ويقول: "لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (١ كورنثوس ١١: ٢٣ - ٢٦).

ففي العشاء الأخير نجد ذكرى لموت المسيح ودفنه وقيامته إلى أن يجيء. لكن في فريضة المعمودية نجد رمزاً لموت المؤمن ودفنه وقيامته "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، دفننا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته" (رومية ٦: ٣ - ٥).... "مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات". (كولوسي ٢: ١٢).

فالعشاء الأخير هو ذكرى لموت المسيح ودفنه وقيامته. أما المعمودية فهي رمز لموت المؤمن ودفنه وقيامته. فعندما يعترف المؤمن بعمل المسيح النيابي على الصليب لأجله ويعترف أيضاً بعمل نعمة المسيح المخلصة، وليس لأي شيء فيه، ويقول مع بولس الرسول: "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم". (غلاطية ٦: ١٤) ثم يعتمد بالتغطيس في الماء (والتغطيس هنا رمز للدفن) لأنه عندما تغمر المياه المؤمن وهو تحت الماء فكأنه مدفون في قبر مياه المعمودية ثم ينهض من الماء وكأنه قد

قام من الموت ليسلك في جدة الحياة، أي في الحياة الجديدة. "إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً". (٢ كورنثوس ٥: ١٧).

المعمودية وكيفية ممارستها

اختلفت الطوائف المسيحية حول الكيفية التي يجب أن تمارس بها المعمودية فالبعض قالوا بالتغطيس والبعض الآخر بالرش وآخرون قالوا بطريقة السكب. وبما أن كلمة الرب هي المرجع الرئيسي الذي يفصل الحق عن الباطل فلنذهب إليها لنجد الجواب الصريح والمريح لأنفسنا وبذلك نضع حداً لمثل هذه الممارسات المخالفة لكلمة الله.

وزيادة في الإيضاح عن موضوع المعمودية نقرأ في سفر أعمال الرسل عن فيلبس وهو يقاد بالروح القدس لكي يتلاقى مع وزير مالية كنداكة ملكة الحبشة الذي كان راجعاً من أورشليم وجالساً على مركبته وكان يقرأ فصلاً من سفر أشعياء النبي. فتقدم فيلبس بإيحاء من الروح القدس ورافق المركبة واخبر الوزير من نفس الإصحاح الذي كان يقرأه، ولم يفهم معناه، عن الرب يسوع وعن موته النيابي على الصليب من أجله. "وفيما هما سائران في الطريق أقبل على ماء، فقال الخصي هوذا الماء، ماذا يمنع أن اعتمد. فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله. فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي فعمده. ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصي أيضاً، وذهب في طريقه فرحاً". (أعمال ٨: ٣٦ - ٣٩). هنا نرى كيف أنهما نزلا معاً إلى الماء وصعدا منه أيضاً.

ثم نقرأ في انجيل يوحنا "وكان يوحنا (المعمدان) أيضاً يعمد في عين نون بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون". (يوحنا ٣: ٢٣) وهنا يأتي السؤال المنطقي والذي لا مفر منه ألا وهو: إن كانت المعمودية بالرش فلماذا إذاً المياه الكثيرة؟

والإجابة على مثل هذا السؤال تأتي واضحة من خلال شواهد متعددة في الكتاب المقدس كما في رومية ٦: ٣ - ٤ "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة". وفي كولوسي ٢: ١٢ "مدفونين معه في المعمودية..."، فليس من المعقول أن تدفن ميتاً بأن ترش عليه حفنة من التراب، بل تدفنه كلياً في باطن الأرض.

فعندما يعتمد المؤمن يعلن بمعموديته أنه يؤمن بموت المسيح (البديلي على الصليب من أجل خطاياه) ودفنه ومن ثم قيامته لأجل خلاصه.

ربما تقول بما أن المعمودية هي رمز فسواء كانت بالتغطيس أو بالرش فلا خلاف على ذلك. ولكن هذا الرمز مهم جداً لأن المؤمن عندما يعتمد بالتغطيس يعلن بهذا أنه يؤمن بموت المسيح ودفنه وقيامته وهذا الإعلان هو أهم شيء في العقيدة المسيحية.

ففي العهد القديم عندما عطش الشعب في حوريب طلب الرب من موسى أن يذهب ويضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب. فذهب موسى وضرب الصخرة فخرج من الصخرة ماء وشرب الشعب (خروج ١٧). ولكن في المرة الثانية عندما انتقلوا إلى قادش خاصم الشعب

موسى لأنه لم يكن هناك ماء للشرب فأمر الرب موسى أن يذهب ويكلم الصخرة بأن تعطي ماءها. فذهب موسى وضرب الصخرة بعصاه بدلاً من أن يكلمها كما أمره الرب، فغضب الرب على موسى وعلى هرون أخيه وحرّمهما من أن يدخلوا الشعب إلى أرض الموعد (عدد ٢٠)، وهذا ثمن باهظ يدفعه المؤمن عندما يخالف مشيئة الله.

يقول لنا بولس الرسول في العهد الجديد بأن الصخرة كانت ترمز إلى المسيح. فكتب لنا وقال: "وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح". (١ كورنثوس ١٠: ٤). وبما أن الصخرة كانت رمزاً للمسيح، فالمسيح كما يقول عنه أشعيا النبي بأنه "ضرب من أجل ذنب شعبي" (أشعيا ٥٣: ٨) وكتب الرسالة إلى العبرانيين يقول: "لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين" (عبرانيين ١٠: ١٤).

فالإنسان الخاطيء يأتي أولاً إلى المسيح المضروب، أو الذي صلب من أجل خطاياه، لكي ينال الخلاص على أساس عمل المسيح النيابي على الصليب. ولكن الحقيقة المؤسفة أن المؤمن طالما يعيش في الجسد لا بد وان يخطئ لأنه "إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا". (١ يوحنا ١: ٨). فعندما يخطئ المؤمن لا يأتي إلى المسيح المضروب من أجل ذنبه بل يأتي إلى المسيح الشفيق والجالس عن يمين الأب ليشفع فيه فيتكلم معه معترفاً بخطاياه لأنه "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١: ٩).

ففي هذا العدد نرى كلمتان هامتان وهما أمين وعادل.

فالمسيح أمين لا يفشي بالسر وعادل لأنه دفع أجرة خطايانا بموته النيابي على الصليب "لأن أجرة الخطية هي موت،...." (رومية ٦: ٢٣). فبموت المسيح على الصليب استوفت العدالة الإلهية حقها وعلى هذا الأساس يقدر الله أن يغفر خطايانا لأن ثمنها قد دفعه المسيح بموته النيابي على الصليب. لذلك يقول بولس الرسول مقتبساً من كلمات داود النبي عن تطويب الإنسان الذي يحسب له الله برّ بدون أعمال. "طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم، طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية". (رومية ٤: ٧ - ٨) ثم يقول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس. "أي إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة". "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية (ذبيحة) خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢ كورنثوس ٥: ١٩ و ٢١).

الفصل الثالث: المعمودية الأطفال: ترتيب إلهي أم بشري

هل تجوز المعمودية الطفل؟ وهل يصح للمؤمن أن يعتمد مرة ثانية بعد أن كان قد اعتمد طفلاً؟

تقر وتتعترف كل الطوائف بأن المعمودية الأطفال قد تبنتها الكنيسة في حوالي القرن الثاني الميلادي وإنها ليست حسب تعليم الكتاب المقدس. ولقد قال أحد اللاهوتيين: "أنه لو نزل رجل عاقل من أحد الكواكب (وهذا لا يعني أننا نقترح أن الكواكب مسكونة) ليزور أرضنا هذه واعطيناه كتاباً مقدساً وطلبنا منه أن يدرسه ويعلمنا محتوياته فإنه سيعلمنا عن النبوات وإتمامها وعن الخلاص بدم الرب يسوع المسيح وحده وعن المعمودية المؤمن فقط ولكنه لن يستطيع أن يجد في أي موضع من الكتاب المقدس ما يعلم به عن المعمودية الأطفال لأنها ليست موجودة".

إن أول من أشار إلى المعمودية الأطفال هو ايريناوس أسقف ليون من خلال كتاباته التي ظهرت في أواخر القرن الثاني الميلادي. أما تشارلز ماكنوتش، المشهور بتقاسيره لبعض أسفار الكتاب المقدس، وخصوصاً أسفار موسى الخمسة، فقد قال عن المعمودية بأنه "خلال الاثني والثلاثين سنة التي درس فيها كلمة الله قد فتنش ولو على آية واحدة تعلم بصورة مباشرة عن المعمودية الأطفال فلم يجد"

وإليك ما جاء في دائرة المعارف الكاثوليكية عن المعمودية:

"في العصر الرسولي، كما في التدبير اليهودي، كانت المعمودية تتم بلا حوض، في البحر، أو في البرك أو في الينابيع الجارية أو البحيرات.

ومع مرور الزمن وتقلص عدد البالغين المعتمدين بقصد إدخالهم إلى المسيحية، تفتت ممارسة المعمودية الأطفال، مما دفع إلى تغيير حوض المعمودية. فبدلاً من أن يكون حوضاً متسعاً على سطح الأرض، بنوا حوضاً يبلغ ارتفاعه من ثلاثة إلى أربعة أقدام ليتمكن الخادم من الإمساك بالطفل فوق فتحته، أو بناء حوض من الحجارة القوية يرتكز على أرض الكنيسة، وأصبح تغطيس الأطفال هو قانون المعمودية. كما وتبنوا هذه الممارسة أيضاً في حالة البالغين إذ كان الحوض متسعاً بما فيه الكفاية بحيث يسمح بتعميدهم بالتغطيس.

وفي القرن الثالث عشر أصبحت المعمودية بالرش، ووصلت إلى هذه الممارسة تدريجياً وأصبح الرش هو الوسيلة المتبعة عموماً وأصبح حوض المعمودية صغيراً وقليل الماء. وارتفع من على الأرض إلى قمة بعض الأعمدة. ولكن الأحواض القديمة استمرت مقبولة في إيطاليا، أما في البلاد الشمالية فإن برودة الشتاء وقشعريرته دفعتنا إلى الإسراع بممارسة المعمودية بالرش، لأن هذه الوسيلة لا تتطلب إلا القليل من الماء مما جعل حوض المعمودية يتضاءل في حجمه حتى وصل إلى حجمه الصغير الذي نراه اليوم".

فمعمودية الأطفال ليست كتابية للأسباب التالية:

١. إذا كان الإنسان قد اعتمد طفلاً فمعموديته ليست كتابية لأن الإيمان والتوبة يجب أن يسبقا المعمودية.
٢. إننا لا نقدر أن نقول بأن الطفل قد تعمد لكنه عمد. لنفرض أننا عمدنا طفلاً ثم بعد أن كبر رفض الإيمان بالمسيح فماذا تنفعه المعمودية يا ترى؟ والجواب لا تنفعه شيئاً البتة. إذاً لماذا لا يعتمد بعد الإيمان؟ فإن كانت المعمودية لا تنفع الطفل ما لم يؤمن عندما يكبر، فلماذا إذاً لا ينتظر حتى يكبر ويؤمن وبعدها يعتمد.
٣. المعمودية هي شهادة علنية أمام الناس يعلن فيها المعتمد إيمانه بموت المسيح ودفنه وقيامته، لأن الرب يسوع يقول: "فكل من يعترف بي قدام الناس اعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات. ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات". (متى ١٠: ٣٢ - ٣٣).
٤. فالطفل لا يقدر أن يعترف بإيمانه بالمسيح وهو طفل صغير. المعمودية هي إعلان صريح وواضح عن طاعتنا لوصية الرب التي تأمر بأن "..... توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح...." (أعمال ٢: ٣٨)

هناك نص صريح في كلمة الله مفاده أن المعمودية هي للرجال وللنساء فقط. "وكان قبلاً في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً إنه شيء عظيم. وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة. وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره. ولكن لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساء". (أعمال ٨: ٩ - ١٢). من هذه الآيات نرى أنهم من كبيرهم إلى صغيرهم كانوا يتبعون سيمون الساحر لكنهم لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساء، وليس من الصغير إلى الكبير. ونقطة أخرى مهمة نراها في هذا الإعداد هي "لما صدقوا فيلبس"، فالتصديق لكلمة الله والإيمان بها هما شرطان أساسيان يجب توفرهما في الشخص قبل المعمودية.

١. إن أمر الرب يسوع لتلاميذه هو أن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم ويعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، فالتلمذة في هذا النص كما نرى تسبق المعمودية أي يجب على المعتمد أن يفهم أولاً عن خلاصه بموت المسيح ثم يتلمذ وبعد ذلك يعتمد. فهل من الممكن أن تتلمذ طفلاً؟

٢. إن معمودية الطفل في الكنائس التقليدية هي لمغفرة الخطايا ولكن كما سبق وبيّنا بأن المعمودية لا يمكن أن تغفر الخطايا. فعندما كان أبلوس وبولس في كورنثوس وجدا تلاميذ كانوا قد تعمدوا بمعمودية يوحنا. فقال لهم بولس: "إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع. فلما سمعوا اعتمدوا (ثانية) باسم الرب يسوع". (أعمال ١٩: ٤ - ٥).

ما هو مصير الأطفال الذين يموتون بدون معمودية؟

إن خلاص الأطفال الذين يموتون قبل أن يعتمدوا قد تحقق بفداء المسيح الذي رفع عنهم على الصليب عقوبة الخطية الموروثة عن آدم. وبما أن الأطفال لم يمارسوا أية خطية فعلية فعادلة الله لا تحاسبهم على ذنب لم يفتروا.

إن الأطفال قد ورثوا خطية آدم ولكن هبة الله أعظم من ميراث آدم، لأن آدم الأول قد أورث الخطية أما آدم الثاني (المسيح) فقد أعطى هبة البر بالنعمة. "لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع". (١ كورنثوس ١٥: ٢٢) "فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد (بر المسيح) صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة. لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد (آدم) جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد (المسيح) سيجعل الكثيرون أبراراً". (رومية ٥: ١٨ - ١٩).

إن كلمة الله تعلن لنا صراحة بأن كل الطفل الذين تحت سن المسؤولية سيذهبون إلى السماء وهذا ما أعلنه لنا الرب يسوع.

ولتأكيد هذا المفهوم وتوضيحه دعنا نفترض أن إنساناً معتوهاً رمى شخصاً بحجر وقتله. فهل يحكم القاضي على هذا الإنسان بالإعدام؟ لا أظن ذلك. فإن كانت عدالة الإنسان تحكم هكذا فكم بالحري أبوكم السماوي المعطى العقل والحكمة للإنسان! "...أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً". (تكوين ١٨: ٢٥).

لقد قال الرب يسوع لتلاميذه "... دعوا الولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله. فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم" (مرقس ١٠: ١٤ - ١٦)

"فقدموا إليه الأطفال أيضاً ليلمسهم، فلما رآهم التلاميذ انتهروهم. أما يسوع فدعاهم وقال دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله". (لوقا ١٨: ١٥ - ١٦)

"انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأنني أقول لكم أن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات. لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك". (متى ١٨: ١٠ - ١١)

لكن ربما تسأل: ماذا عن الخطية الأصلية؟

إن خطية آدم التي ورثناها منه قد حملها المسيح على الصليب. "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد (آدم) جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد (المسيح) سيجعل الكثيرون أبراراً" (رومية ٥: ١٩)

فالمسيح مات لكي يخلصنا من الخطية الأصلية الموروثة من آدم.

".....هوذا حمل الله الذي يرفع خطية (بالمفرد) العالم" (يوحنا ١: ٢٩)

"لأن أجره الخطية (بالمفرد) هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رومية ٦: ٢٣)

والمسيح سفك دمه على الصليب لكي يخلصنا من الخطية الفعلية.

"الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا (بالجمع) بدمه" (رؤيا ١: ٥)

"الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا (بالجمع) حسب غنى نعمته" (أفسس ١: ٧)؟.

"ولكن إن سلطنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية". (١ يوحنا ١: ٧)

"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم". (١ يوحنا ١: ٩)

والمسيح بصلبه خلصنا من لعنة الناموس.

كان من الضروري أن يموت المسيح صلباً وليس بأية طريقة أخرى والسبب في ذلك هو أولاً لكي يتم النبوات، ثم لكي يرفع عنا لعنة الناموس. فلم يكن ممكناً للمسيح أن يموت رجماً بالحجارة أو قتلاً بل صلباً.

"لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" "المسيح اقتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة

لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة". (غلاطية ٣: ١٠ و ١٣) وأيضاً (تثنية ٢١: ٢٢ - ٢٣).

فالمسيح إذاً بموته قد خلصنا من الخطية الأصلية.

وبسبك دمه قد خلصنا من الخطية الفعلية.

وبموته على الصليب قد خلصنا من اللعنة الناموسية (لعنة الناموس).

ما هو الخطأ في المعمودية الأطفال؟

١_ إن المعمودية الأطفال ليست كتابية بالدرجة الأولى.

٢_ إن عمدت الطفل فإنك تعامله كشيء وليس كشخص مدرك لأنه لا يفهم معنى المعمودية.

٣_ عندما يكبر الطفل يعيش على أو هام وجهل ظاناً أن المعمودية تخوله الدخول إلى السماء.

٤_ إنك تحرمه من الفرح الذي يشعر به عندما يقبل المسيح بملء إرادته ويعتمد. لأن الكتاب يقول إنه بعدما اعتمد الخصي الحبشي "أنه ذهب إلى بيته فرحاً". (أعمال ٨: ٣٩).

٥_ تحرمه من الشهادة للمسيح.

٦_ تحرمه من الاعتراف بإيمانه بالإله الواحد المثلث الأقانيم "...وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس". ففي هذا النص وردت كلمة اسم وليس أسماء. لأننا نؤمن بإله واحد يجمع في وحدانيته ثلاثة أقانيم. فهم ليسوا ثلاثة أقانيم في لاهوت واحد. لذلك يقول باسم وليس بأسماء. وهذه الأقانيم متساوية في الجوهر ولكل أقنوم كل صفات اللاهوت من حيث القدرة على كل شيء والحضور في كل مكان والعلم بكل شيء والأزلية وعدم التغير. فعندما يعتمد المؤمن يعلن عن إيمانه بالله المثلث الأقانيم: الأب والابن والروح القدس. ثم يعلن أيضاً عن إيمانه بموت المسيح ودفنه وقيامته. "مدفونين معه في المعمودية" (كولوسي ٢: ١٢). "دفننا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الاب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة". (رومية ٦: ٤).

٧_ إذا كانت المعمودية هي "...سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح من الأموات". (١ بطرس ٣: ٢١) فهل من المعقول أن نسأل طفلاً لكي يعطينا جواباً صادراً من ضمير صالح قبل المعمودية؟ لأن المؤمن بضميره الصالح قد اتخذ قراراً شخصياً، عن فهم وإدراك، بإيمانه بموت المسيح ودفنه وقيامته.

٨_ المؤمن لا يعتمد لكي يصير مسيحياً بل لأنه قد صار مسيحياً.

٩_ إذا كبر الطفل ولم يؤمن فماذا تنفعه المعمودية؟ فإن كانت لا تنفعه شيئاً ما لم يعتمد، فلماذا لا يعتمد بعد أن يؤمن وهذا الأصح.

هل حلت المعمودية في العهد الجديد محل الختان في العهد القديم؟

في معظم الحيان نقرأ بأن المعمودية والختان كانا يسيران جنباً إلى جنب في العهد القديم حتى أنه "حينئذ خرج إليه (إلى يوحنا المعمدان) أو شليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن، واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم" (متى ٣: ٥ - ٦). فإذا كانت المعمودية قد حلت محل الختان فلماذا جاء جميع هؤلاء ليعتمدوا من يوحنا مع أنهم كانوا أصلاً مختونين ويعتبرون من أولاد العهد.

لا يمكن أن تحل المعمودية محل الختان للأسباب التالية:

١_ إن المسيح كان قد ختن بعد ولادته بثمانية أيام ولكنه اعتمد من يوحنا المعمدان وهو في الثلاثين من عمره، فالمسيح إذاً ختن وتعمد.

٢_ لقد ختن بولس تيموثاوس لكي لا يعثر اليهود بعد أن كان تيموثاوس معتمداً بالماء.

٣_ بما أن الختان كان بعد الولادة الجسدية فالمعمودية يجب أن تكون بعد الولادة الروحية.

٤_ كان الختان للذكور فقط أما المعمودية فهي للذكور وإفناث على السواء ".... اعتمدوا رجالاً ونساء". (أعمال ٨: ١٢).

٥_ الختان لا ينفك ما لم تحفظ الناموس. وهذا ما أعلنه لنا الروح القدس على فم بولس الرسول بقوله: "فإن الختان ينفك إن عملت بالناموس، ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة. إذاً إن كان الأغرل (الأممي) يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختاناً، وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس، لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. الذي مدحه لا من الناس بل من الله". (رومية ٢: ٢٥ - ٢٩).

فكما أن الختان كما قرأنا لا ينفك ما لم نحفظ الناموس كذلك المعمودية لا تنفع بدون الإيمان في موت المسيح ودفنه وقيامته.

الفصل الرابع: الولادة من الماء والروح

ما معنى كلمات الرب يسوع لنيقوديموس: ".... إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله".؟ (يوحنا ٣: ٥).

إن الرب يسوع هنا كان يتكلم مع نيقوديموس عن الميلاد وليس عن العماد. لأن المعمودية لا ترمز إلى الولادة بل إلى الدفن. (رومية ٦: ٤ وكولوسي ٢: ١٢). والمعمودية هي ليست من الماء بل بالماء... ويوضح لنا يوحنا الرسول عن الولادة الروحية بقوله: "كلّ من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله،..." (١ يوحنا ٥: ١) ثم يقول بولس الرسول: "...، لأنني أنا ولدتك في المسيح يسوع بالإنجيل". (١ كورنثوس ٤: ١٥) ثم يقول أيضاً "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غلاطية ٣: ٢٦). ثم يقول الرسول يوحنا عن المسيح "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يوحنا ١: ١١ - ١٣).

ففي اللحظة التي يتوب فيها الخاطيء ويقبل المسيح مخلصاً لنفسه ورباً على حياته ينال بذلك غفراناً لخطايه ويصير ابناً لله إذ يولد من الله بالإيمان ميلاداً ثانياً.

فالولادة من الماء لا يمكن أن تعني المعمودية لأن الماء يشير إلى كلمة الله كما ورد في الكتاب المقدس في الآيات التالية:

"لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الرض ويجعلانها تلد وتنتبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للأكل هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتتجح في ما أرسلتها له". (أشعيا ٥٥: ١٠ - ١١).

"شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه" (يعقوب ١: ١٨)

"مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد. لأن كل جسد كعشب وكل مجد انسان كزهرة عشب، العشب يبس وزهره سقط، وأما كلمة الرب فتنبت إلى الأبد، وهذه هي الكلمة التي بشرتم بها". (١ بطرس ١: ٢٣ - ٢٤).

"أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة واسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة". (أفسس ٥: ٢٥ - ٢٦).

"أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به". (يوحنا ١٥: ٣).

"والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً، ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم". (أعمال ١٥: ٨ - ٩).

"أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه... استمعوا لي استماعاً... أميلوا آذانكم وهلموا إليّ، اسمعوا فتحيا أنفسكم...." (أشعيا ٥٥: ١ - ٣).

"لأنني أسكب ماء على العطشان وسيولاً على اليابسة، اسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك، فينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجاري المياه". (أشعيا ٤٤: ٣ - ٤).

لقد نفى بولس الرسول نفياً باتاً بأن المعمودية هي وسيلة الميلاد الثاني بقوله: "اشكر الله أني لم أعمد أحداً منكم الأكريسبس وغايس حتى لا يقول أحد أني عمّدت باسمي. وعمدت أيضاً بيت استفانوس، عدا ذلك لست أعلم هل عمدت أحداً آخر. لأن المسيح لم يرسلني لأعمد بل لا بشر، لا بحكمة كلام لنلا يتعطل صليب المسيح". (١ كورنثوس ١: ١٤ - ١٧) وقال لهم أيضاً: ".... لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل". (١ كورنثوس ٤: ١٥) ويعرف الإنجيل بقوله: "واعرفكم أيها الخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً تخلصون... فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب". (١ كورنثوس ١٥: ١ - ٤).

رأي الكتاب المقدس في تعميد الأطفال وعلاقته بإيمان والديهم

إن الإيمان المسيحي لا يمكن أن يكون بالوراثة "لأن المولود من الجسد جسد هو".

ثم الإيمان المسيحي هو إيمان فردي "لكل من". لأنه مكتوب "توبوا وليعتمد كل واحد منكم" (أعمال ٢: ٣٨)، "الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا ٣: ١٨)، "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". (يوحنا ٣: ١٦)، "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة". (يوحنا ٥: ٢٤)، "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣: ٣٦)، "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص". (رومية ١٠: ١٣)، "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وأمنت بقلبك إن الله أقامه من الموت خلصت". (رومية ١٠: ٩)، "من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة". (١ يوحنا ٥: ١٢)، "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن انسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". (يوحنا ٣: ١٤ _ ١٥).

في سفر العدد نقرأ عن الحيات المحرقة التي كانت تلدغ الشعب لتذمرهم على الرب وعلى موسى. "فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من اسرائيل فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعلينا فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات. فصلى موسى لأجل الشعب فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية انساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا" (عدد ٢١: ٦ _ ٩). فلو فرضنا جدلاً أن ابناً قال لأبيه: يا أبي اذهب عني وانظر إلى حية النحاس لأنني متألم جداً من لدغة حية محرقة. ولنفرض أن الأب ذهب بدل ابنه ونظر إلى حية النحاس، ولكن حال رجوعه إلى البيت فإنه لا بد أن يجد ابنه جثة هامدة والسبب في ذلك هو ما قاله الله بوضوح "متى لدغت حية انساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا"، فالشخص الذي لدغ كان لا بد أن ينظر بنفسه إلى الحية النحاسية ليحيا. وهذا عين ما قاله الرب يسوع لنيقوديموس عندما سأله كيف يولد الإنسان ثانية. أجابه الرب يسوع قائلاً: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان (على الصليب) لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". فالذي لدغته الحية كان يحسب في عداد الهالكين ولكن نظرة واحدة منه إلى الحية النحاسية كانت كافية أن تعطيه الحياة الجديدة وكأنه ولد من جديد. هكذا الإنسان الخاطيء المائت بالذنوب والخطايا عندما ينظر إلى المسيح، الذي مات بدلاً عنه ليعطيه الحياة، بالإيمان يولد ثانية بواسطة كلمة الله وروحه. "واما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله". (يوحنا ١: ١٢ _ ١٣):

١ _ "ليس من دم":

أي أن هذه الولادة ليست بالوراثة. لقد كان اليهود يفتخرون بنسبهم أنهم أولاد ابراهيم لكن الكتاب المقدس يبين لنا بأن الولادة الأولى هي ولادة جسدية ورتنا بها الخطية من آدم "الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً" (أفسس ٢: ٣) وهذا ما وضعه الرب لنيقوديمس بأن ".... المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح". (يوحنا ٣: ٦).

٢ _ "ولا من مشيئة جسد":

"لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون". (غلاطية ٥: ١٧) ثم يقول بولس الرسول "فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي في جسدي شيء صالح، لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فليست أجد. لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فأياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فليست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة في". (رومية ٧: ١٨ _ ٢٠).

٣ _ "ولا من مشيئة رجل":

إن الأب يستطيع أن يربي أولاده بتأديب الرب وإنذاره. ولكنه لا يستطيع أن يصيرهم أولاداً لله. والأب يسدي بالنصيحة السليمة لابنه ولكن الابن قد يرفض النصيحة والعمل بها ويختار لنفسه طريقاً آخر. وهكذا الأمر في صلة الله بنا. فالله على استعداد أن يهبنا البنوة بالإيمان بالمسيح على أساس أن نقبل نحن بمحض إرادتنا الخلاص الذي قدمه لنا. "وأما كل الذين قبلوه (رباً ومخلصاً وفادياً لحياتهم) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يوحنا ١: ١٢).

يحكى عن فتاة أنها قبلت المسيح مخلصاً لها إكراماً لرغبة والدتها التي كانت تلح عليها كثيراً أن تقبله. ثم بعد مرور ثلاث سنوات سمعت الفتاة عظة مؤثرة وأحست بتبكيك الروح القدس فما كان منها إلا أن تقدمت وسلمت حياتها جهاراً للرب يسوع وقبلته مخلصاً لها. فتعجبت الأم من تصرف ابنتها وقالت لها: لقد سلمت حياتك للرب يسوع قبل ثلاث سنوات فما هذا الذي تفعلينه الآن؟ فأجابت الابنة قائلة: يا أمي! لقد قبلت المسيح منذ ثلاث سنوات حسب رغبتك ومن أجلك وأما الآن فأنا أقبله حسب رغبتك ومن أجله.

٤ _ "بل من الله":

لأن الله وحده هو الذي يستطيع أن يعطي الحياة الجديدة كما أوضح ذلك لنا بولس الرسول بقوله: "إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً. ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة" (٢ كورنثوس ٥: ١٧ _ ١٨) فلا يقدر أحد أن يحصل على هذه البنوة إلا عن طريق قبول المسيح. فهي لا تأتي بدافع الرغبة البشرية أو الإرادة الإنسانية لأن مصدرها الله وحده لا سواه. فإن أراد إنسان أن ينتسب إلى الله ويصير ابناً له فلن ينفعه في ذلك الحسب والنسب ولا مجهوداته الشخصية وغنا الوسيلة الوحيدة إلى ذلك هي قبول المسيح مخلصاً لحياته، إذ يصلحه مع الأب بدمه، وأن يجعله رباً على حياته فيصير بنعمته ابناً لله.

ما هو دور الإشبين في المعمودية الأطفال؟

لا يوجد في كلمة الله على الإطلاق أي نص كتابي بخصوص الإشبين الذي يلعب دور الموجه للطفل أو الوصاية الروحية عليه. إنما نجد في كلمة الله توجيهات رسولية للأباء والأمهات لكيما يربوا أولادهم في مخافة الرب وإنذاره (أفسس ٦: ٤). إننا لا نقدر أن نعتمد على تعاليم وطقوس واهية لا تصمد أمام الفحص الكتابي.

اعتراض: إن المعمودية الصغار ضرورية لكونهم مولودين في بيئة مسيحية. أما المعمودية التي تتكلمون عنها فكانت لازمة في بداية انتشار المسيحية.

حيث يصمت روح الله ينبغي أن نصمت وحيث يتكلم روح الله ينبغي أن نطيع. إن كل ما تكلم به الله في العهد الجديد والخاص بالمعمودية قد أوضحناه سابقاً. فهي بلا شك للمؤمنين فقط ولا داع بأن نقنّبس من أقوال البشر المعرضة للخطأ. فقد يعتمد الطفل ويتثبت في الكنيسة ويظل ابناً للمهلك، لأن كلمة الله تقول: "من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يهلك". (مرقس ١٦: ١٦). لاحظ هنا أن الرب يسوع لم يقل من لم يعتمد يهلك بل قال أن الذي لا يؤمن يهلك. وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول أن أهم شيء هو الإيمان بالإنجيل. فالمعمودية لا تعني شيئاً إذا فصلتها عن الإيمان الشخصي بالرب يسوع المسيح المخلص. فعندما نقرأ في أعمال الرسل الإصحاح الثامن بأن الناس كانوا يتبعون سيمون الساحر من صغيرهم إلى كبيرهم لما سمعوا وصدقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا "رجالاً ونساء" وليس من الصغير إلى الكبير (أعمال ٨: ٩ - ١٢).

الفصل الخامس: هل المعمودية تغفر الخطايا؟

هناك آيتان في أعمال الرسل يمكن للقارئ العابر أن يفهم منهما بأن المعمودية هي لغفران الخطايا ولكن عندما نقارن الروحيات بالروحيات وكلمة الله بكلمة الله نجد ما يلي:

الآية الأولى مذكورة في أعمال الرسل ٢: ٣٧ - ٣٨ "فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نضع أيها الرجال الأخوة. فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا..."

والآية الثانية ذكرت في أعمال الرسل، عندما ذهب حنانيا لكي يرى شاول الذي كان قد فقد بصره بعدما رأى الرب وهو في طريقه إلى دمشق. فلما رأى حنانيا شاول قال له: "أيها الأخ شاول أبصر. ففي تلك الساعة نظرت إليه فقال إله أبائنا انتخبك لتعلم مشيئته وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه. لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت. والآن لماذا تتوانى، قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب". (أعمال ٢٢: ١٣ - ١٦).

فأول وهلة يظن القارئ من قراءته لهاتين الآيتين بأن غفران الخطايا متعلق بالمعمودية ولكن عندما ندرس الآيتين بأن غفران الخطايا مرتبط باسم يسوع وليس بالمعمودية. "فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع" الذي يغفر الخطايا. وفي الآية الثانية يقول حنانيا لشاول: "قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب". فإنه أيضاً مكتوب "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص". (رومية ١٠: ١٣). فغسل الخطايا هنا لا يرتبط بالمعمودية بل باسم الرب يسوع الذي يغفر الخطايا. وعلينا أن نزيد من الآيات التي تدعم هذا المفهوم:

"أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه". (١ يوحنا ٢: ١٢).

"له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال ١٠: ٤٣).

"وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث. وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم" (لوقا ٢٤: ٤٦ - ٤٧).

"الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه" (رؤيا ١: ٥).

"الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا" (أفسس ١: ٧).

"بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين ٩: ٢٢).

"ولكن إن سلطنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١ يوحنا ١: ٧).

"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١: ٩).

"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح". (رومية ٣: ٢٤).

والآن يأتي سؤال لا بد منه وهو: إذا كانت المعمودية تغسل الخطايا، فماذا عن الخطايا التي يرتكبها المؤمن بعد معموديته؟

إن الخلاص مرتبط بالإيمان بالمخلص ولا يوجد خلاص بدون المخلص "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى ١: ٢١) فإن لم تؤمن بالرب يسوع فلن تخلص أبداً. "وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص". (أعمال ٤: ١٢).

والماء يغسل ما في الثوب من دنس

وليس يغسل قلب المذنب الماء.

إن الخطية متغلغلة في الداخل وتحتاج إلى غسل جذري لا إلى غسل خارجي "لا لإزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح". (١ بطرس ٣: ٢١). فلو كانت المعمودية تغسل الخطايا فلا يمكن لبولس الرسول أن يقول "أشكر الله أنني لم أعمد أحداً منكم إلا كريسبس وغيث... وعمدت أيضاً بيت استفانوس..." (١ كورنثوس ١: ١٤: ١٦). ثم هناك أيضاً بيت كورنيليوس الذين غفرت خطاياهم بالإيمان بعمل المسيح الكفاري على الصليب إذ حلّ الروح القدس عليهم وتكلموا بالسنة قبل معموديتهم (أعمال ١٠: ٣٤ - ٤٦). وأيضاً اللص التائب فإنه ذهب إلى الفردوس بدون معمودية حسب وعد الرب له (لوقا ٢٣: ٤٣). والسؤال الذي يخطر على البال هو: إن كانت المعمودية تغسل الخطية، فماذا يحدث للخطايا التي يقترفها المعتمد بعد معموديته؟

الفصل السادس: هل للمعمودية شروط؟

هناك ثلاثة شروط أساسية تسبق المعمودية وهي:

١ - الإيمان بالمسيح:

"من آمن واعتمد خلص..." (مرقس ١٦: ١٦). يسأل الخصي فيلبس "هوذا ماء ماذا يمنعني أن أعتد" فأجابه فيلبس جواباً صريحاً ومريحاً بقوله: "إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز". (أعمال ٨: ٣٦ - ٣٧). فالإيمان من كل القلب هو الشرط الأساسي والجوهري الذي يسبق المعمودية. وأريد أن أقول بأنه يوجد إيمان عقلي عقيم وإيمان قلبي قويم.

فالإيمان العقلي هو المعرفة العقلية لا أكثر ولا أقل، فإن "الشياطين يؤمنون ويقشعرون". أما الإيمان القلبي فهو الإيمان الذي يجعل الشخص المؤمن يتخذ المسيح مخلصاً لنفسه ورباً على حياته. "أمن بالرب يسوع فتخلص..." و "إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت". (رومية ١٠ : ٩). فربوبية المسيح على الحياة شرط أساسي للخلاص.

ثم الإيمان القلبي أيضاً هو الإيمان العامل بالمحبة، ليس لأن الأعمال تخلص الإنسان ولكن الأعمال تظهر وتبرهن على حبنا وولائنا للذي مات من أجلنا وقام. لأن الذي قال: "بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كي لا يفتر أحد". هو أيضاً قال: "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها". (أفسس ٢ : ٨ - ٩).

٢ _ الشرط الثاني الذي يسبق المعمودية هو التوبة.

يقول بولس الرسول إلى كنيسة أفسس "أنني لم أؤخر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً وفي كل بيت. شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح". (أعمال ٢٠ : ٢٠ - ٢١). "فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة. فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل يسوع لغفران الخطايا". (أعمال ٢ : ٣٧ - ٣٨).

فالإيمان والتوبة هما عنصران أساسيان للخلاص قبل المعمودية. "فالله الآن يأمر (أمر إلهي) جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل. لأنه أقام يوماً هو فيه مزعم أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات". خاطئاً ناشئاً ويخرج من الماء خاطئاً مبتلاً دون الحصول على الغاية المرجوة من المعمودية الحقيقية.

٣ _ الشرط الثالث الذي يسبق المعمودية هو قبول الإنسان للمسيح مخلصاً له.

عندما سأل الخصي الحبشي فيلبس قائلاً "هوذا ماء ماذا يمنعني أن أعتمد. أجابه إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله". فقبل المسيح المخلص، الذي دفع دين الخطية عن الإنسان الخاطيء، أمر ضروري لأن موت المسيح قد أوفى العدالة الإلهية حقها. لأن الناموس يقول بأن "النفس التي تخطئ تموت". وأن الله لا يبيري ابراء... فلما أن يموت الخاطيء من أجل خطيته أو أن يؤمن بالذي دفع دين الخطية وأجرتها عنه وبذلك يخلص.

لقد كان موت خروف الفصح ورش دمه على العتبة العليا والقائمتين كفيلاً لكي لا يموت البكر الذي في البيت. والسبب في ذلك أن الخروف مات بدلاً عنه. وهكذا المسيح، حمل الله، الذي مات عنك لكي تحيا أنت. فإن قبلت دمه المسفوك لأجلك على الصليب خلصت وإن لم تقبله هلكت.

ماذا عن المعمودية أهل البيت البيت الأول هو بيت كرنيليوس

البيت الأول الذي نذكره هنا هو بيت كرنيليوس الذي اعتمد هو وأهل بيته، فبعض الناس استنتجوا بأنه ربما كان هناك أطفال في البيت. وإليك النص كما ورد في أعمال الرسل في الإصحاح العاشر:

"وكان في قيصرية رجل اسمه كرنيليوس قائد مئة من الكتيبة التي تدعى الإيطالية، وهو تقي وخائف الله مع جميع بيته. يصنع حسنات كثيرة للشعب ويصلي إلى الله في كل حين". هذا أرسل إلى بطرس ودعاه لكي يخبره عن الخلاص الذي في المسيح يسوع... وبعد أن أخبرهم بطرس بيسوع المخلص وآمنوا به حينئذ أجاب بطرس قائلاً: "أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً. وأمر أن يعتمدوا باسم الرب". (أعمال ١٠: ٤٧ _ ٤٨).

من هذا النص نفهم بأن كرنيليوس كان إنساناً تقياً وخائف الله مع جميع أهل بيته. لكن الذين اعتمدوا من أهل بيته هم الذين قبلوا الروح القدس فقط بقوله، "أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً وأمر أن يعتمدوا باسم الرب".

البيت الثاني هو بيت ليديا

نقرأ عن بيت ليديا هذه الكلمات: "فكانت تسمع امرأة اسمها ليديا ببيعة أرجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس. فلما اعتمدت هي وأهل بيتها طلبت قائلة إن كنتم قد حكمتكم أني مؤمنة بالرب فادخلوا بيتي وامكثوا. فألزمتمنا" (أعمال ١٦: ١٤ _ ١٥).

عندما نقرأ هذه الكلمات لا بد أن نسأل السؤال التالي:

من قال أن ليديا كانت متزوجة وعندها أولاد؟ لأنها لو كانت متزوجة واعتمدت هي وأهل بيتها (زوجها وأولادها) لكان من الواجب (أعمال ١٦: ٤٠) أن يذكر بيت زوجها وليس بيت ليديا كما هي العادة المتبعة. ثم إن ليديا كانت بائعة أرجوان مما يدل على أنها كانت غنية وكان عندها خدم أو ربما كان عندها والداها أو أخوتها.

البيت الثالث هو بيت حافظ السجن

يقول الكتاب: "ثم كلماه (حافظ السجن) وجميع من في بيته بكلمة الرب. فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجراحات واعتمد في الماء هو والذين له أجمعون. ولما أصعدهما إلى بيته قدم لهما مائدة وتهلك مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله" (أعمال ١٦: ٢٧ _ ٣٤).

من الآيات السابقة نفهم ما يلي:

١ _ أن بولس وسبلا "كلماه وجميع من في بيته بكلمة الرب"، فهل من الممكن أن نكلم الأطفال؟ لا أظن.

٢_ "وتهلك مع جميع أهل بيته" فهل من الممكن أن الأطفال يتهللون. إن المعمودية تدعو للتهلل والتسبيح لذلك "الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أظهرت لنا في المسيح الذي أبطل الموت وأنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل". (٢ تيموثاوس ١: ٩ - ١٢).

البيت الرابع هو بيت استفانوس.

يقول بولس الرسول: "وعمدت أيضاً بيت استفانوس". (١ كورنثوس ١: ١٦)

لكي لا نبقي في الظلمة من أجل هذا البيت يضيء لنا الوحي الإلهي بكلمات واضحة وصريحة، ولكي نقارن الروحيات بالروحيات نقرأ عن بيت استفانوس ما يلي: "وأطلب إليكم أيها الأخوة أنتم تعرفون بيت استفانوس أنهم باكورة أخائية وقد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين كي تخضعوا أنتم أيضاً لمثل هؤلاء وكل من يعمل معهم ويتعب" (١ كورنثوس ١٦: ١٥ - ١٦). إن كل بيت استفانوس قد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين. فهذا يعني أنه لم يكن هناك أطفال.

وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر أرجو بأن ننتبه ألا نمزج بين البيوت التي جاء ذكرها في العهد القديم والبيوت التي في العهد الجديد ونقول أن:

• نوح دخل الفلك هو وأهل بيته

• ولوط نجا هو وأهل بيته

• وأن خروف الفصح كان لكل البيت

• وراحاب الزانية خلصت هي وأهل بيتها

وإليك بعض الفروق بين بيوت العهد القديم والجديد:

١_ إن بيوت العهد القديم كانت تحت الناموس وأما بيوت العهد الجديد فهي تحت عهد النعمة، "لأن الناموس بموسى أعطي، أما النعمة والحق فبیسوع المسيح صاراً".

٢_ لقد كانت بركات الله في العهد القديم جامعة لكل الشعب المؤمنون وغير المؤمنين، وكانت بركاتهم بركات أرضية، "فإنه يشرق شمس على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين". (متى ٥: ٤٥). أما المؤمنين فالخلاص لكل من يؤمن وبركات المؤمنين كلها سماوية ومرتبطة بالمسيح "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح". (أفسس ١: ٣). فبركات العهد الجديد هي كلها في المسيح ومؤسسة على دم المسيح وتستلزم الإيمان في المسيح.

٣_ لقد كان الختان لكل أهل البيت بمن فيهم الذي يؤمن والذي لا يؤمن. "كان الختان لوليد البيت والمبتاع بالفضة من كل ابن غريب..." كما يقول الرب في سفر التكوين ١٧: ٩ - ١٣. أما المعمودية فلكل من يؤمن.

٤_ لقد كان الختان في العهد القديم فريضة حتمية على الأطفال، فالطفل يجب أن يختتن في اليوم الثامن. وهذا ما نراه في سفر التكوين وفي الآية التي تقول: "وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي" (تكوين ١٧: ١٤).

فإذا كانت المعمودية ضرورية بهذا الشكل فلماذا قال بولس الرسول أشكر إلهي أني لم أعمد أحداً لأن الله لم يرسلني لأعمد بل لأبشر، وكيف خلص اللص التائب على الصليب بدون المعمودية.

الفصل السابع: طريق الله البسيط للخلاص

يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس "ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح" (٢ كورنثوس ١١: ٣).

إن أعظم شيء يمكن للإنسان أن يحصل عليه في هذه الدنيا هو الخلاص وليس الذهب والفضة والمال، لأن هذه كلها أشياء مادية فانية وزائلة. فإن كنت تملك الخلاص ولا تملك شيئاً آخر سوى الكسوة والقوت اليومي فأنت تملك كل شيء. ولكن إن كنت تملك كل شيء في هذا الوجود ولا تملك الخلاص فأنت للأسف الشديد لا تملك شيئاً، "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه". (مرقس ٨: ٣٦).

والسؤال الذي يمكن أن تسأله هو: "ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟"

وإليك الجواب الشافي والكافي من الكتاب المقدس.

١_ يجب أن تعترف بأنك خاطئ وأنك بحاجة إلى خلاص الله:

"إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله". (رومية ٣: ٢٣).

"لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطئ" (جامعة ٧: ٢٠).

"وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا" (أشعيا ٦٤: ٦).

"كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه (على المسيح) إثم جميعنا" (أشعيا ٥٣: ٦).

"القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه" (أرميا ١٧: ٩).

"لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" (رومية ٣: ٢٠).

"لأنه إن كان بالناموس (لنا) برّ فالمسيح إذ مات بلا سبب" (غلاطية ٢: ٢١).

"أجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنا ٣: ٣).

٢_ لأنك لا تقدر أن تخلص نفسك:

لأنه "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح..." (غلاطية ٢: ١٦).

"لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجوماً في الكل" (يعقوب ٢: ١٠).

لأنه "لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تيطس ٣: ٥).

لأن يسوع قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة، لا أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا ١٤: ٦).

لأنه "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت" (أمثال ١٤: ١٢).

لأنه "وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال ٤: ١٢).

"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفخر أحد". (أفسس ٢: ٨ - ٩).

٣_ إن الله عادل وقدس، وعدالته تتطلب قصاص الخاطئ

لأن: "النفس التي تخطئ تموت..." و "إن أجره الخطية هي موت". ولكن الله محب ورحوم، ومحبته جعلته أن يرسل ابنه الرب يسوع ليموت كغائب عنا، ولكي يوفي العدالة الإلهية حقها بموته النيابي على الصليب.

"وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفيننا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه.... إنه ضرب من أجل ذنب شعبي وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش... أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين". (أشعيا ٥٣: ٥ - ١٢). وبولس الرسول يقول: "أي إن الله كان في المسيح مصالحا للعالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة... لأنه جعل الذي لم يعرف خطية (ذبيحة) خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه". (٢ كورنثوس ٥: ١٩ و ٢١).

لقد عجز الناموس عن أن يخلص الإنسان. "لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فإله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا (أي لكي تتم مطالبات الناموس فينا) نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح". (رومية ٨: ٣ - ٤).

٤_ لقد ولد المخلص لكي يخلصك:

لا خلاص بدون مخلص ولا مخلص سوى يسوع.

"وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص". (أعمال ٤: ١٢).

"فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم". (متى ١ : ٢١).

"فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به (بالمسيح) إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عبرانيين ٧ : ٢٥).

"الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يوحنا ٥ : ٢٤).

"والقادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوفقكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج. الإله الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور" (يهوذا ٢٤ _ ٢٥).

"الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته" (أفسس ١ : ٧).

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا ٣ : ٣٦).

"... الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه" (رؤيا ١ : ٥).

٥ _ يقين الخلاص:

لا يستطيع المؤمن أن يتقدم في الأمور الروحية ما لم يكن متأكداً من خلاص نفسه "لن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه. فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب. رجل ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه". (يعقوب ١ : ٦ _ ٨). فالمؤمن هو الذي يصدق كلام الله ويتيقن منه "إن الذي وعد صادقاً" لأن: "من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه. وهذه هي الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (١ يوحنا ٥ : ١٠ _ ١٢).

إن المؤمن يستطيع أن يقول مع بولس الرسول:

"لأنني عالم بمن آمننت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم". (٢ تيموثاوس ١ : ١٢). ثم يقول: "لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدي". (٢ كورنثوس ٥ : ١).

إن الله يريدك أن تصدق كلمته التي دونها لنا الروح القدس في الكتاب المقدس. فتأكد أن الله قد خلصك بعمله النيابي على الصليب وكان ذلك على أساس محبته لك. فلا تعتمد على شعورك لأن المشاعر تتغير حسب الظروف، بل اعتمد على كلمة الله المنزهة عن التغيير والتبديل.

يقول الرب يسوع: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يوحنا ٥ : ٢٤).

"كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية" (١ يوحنا ٥ : ١٣).

"فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله". (١ كورنثوس ١ : ١٨).

فما عليك إلا أن تتوب:

إن التوبة هي الاقتناع بأنك الآن تسير في الطريق الملتوي أي طريق الإثم والفساد. وأنت الآن قد آمنت واقتنعت بأن الله أحبك وأرسل ابنه لكي يموت لأجلك. فبادلته الحب بتغيير اتجاهك وسيرك في الطريق الصحيح.

"فإن الله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل. لأنه أقام يوماً فيه مزعم أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات". (أعمال ١٧: ٣٠ - ٣١).

"أطلبوا الرب ما دام يوجد أدعوه وهو قريب. لئلا تترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتنب إلى الرب فيرحمه وإلى الهنا لأنه يكثر الغفران". (أشعيا ٥٥: ٦ - ٧).

"إن لم يتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون". (لوقا ١٣: ٣).

"أم تستهين بغنى لطفه وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة". (رومية ٢: ٤ - ٥).

"هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب". (لوقا ١٥: ١٠).

إذا كنت تريد أن تتوب، ولكن الخطية متمسكة بك، فصلّ وقل للرب "توبني فأتوب لأنك أنت الرب إلهي". (أرميا ٣١: ١٨). واعلم يقيناً بأن الله "عن كل واحد منا ليس بعيداً". (أعمال ١٧: ٢٧).

تؤمن:

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". (يوحنا ٣: ١٦).

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله". (يوحنا ٣: ٣٦).

"وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". (يوحنا ٣: ١٤).

"الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا ٣: ١٨).

تعترف:

"إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم". (١ يوحنا ١: ٨ - ٩).

لا تؤجل:

إن إبليس يقول لك أجل، ولكن المسيح يقول عجل.

"أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد لأنه ما هي حياتكم إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل". (يعقوب ٤: ١٤).

"هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص" (٢ كورنثوس ٦: ٢).

"إذ قيل اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الإسخاط". (عبرانيين ٣: ١٥).

إن أردت أن تخلص فصلّ هذه الصلاة:

يا الله إنني أعترف بأني خاطئ وأحتاج إلى الخلاص. وأعترف أيضاً بأني لا أقدر أن أخلص نفسي. أشكرك لأن المسيح مات من أجل خطاياي على الصليب لكي يخلصني. أشكرك أيضاً من أجل كلمتك التي تقول بأن كل الذين يقبلونك أنت تعطيتهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. فأنا الآن أقبلك مخلصاً لنفسي ورباً على حياتي. سامحني على خطاياي وساعدني لكي أعيش لك، شاكراً إياك من أجل دمك الثمين الذي طهرني من كل خطية. أقبل صلاتي من أجل خاطر الرب يسوع له المجد، أمين.

وبما أنك اعترفت بأنك خاطئ وأمنت بأن المسيح مات من أجل خطاياك وأنت قبلته مخلصاً لنفسك ورباً على حياتك فاعترف به أمام الناس وثق بكلمته التي تقول: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وأمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص". (رومية ١٠: ٩ - ١٠).

لقد أكمل المسيح كل شيء على صليب الجلجثة.

فكف عن عمالك وأمن بعمله. وقل له:

كما أنا وليس لي عذر لديك إلا الدم المسفوك عني من يديك

وأمرك القائل أن آتي إليك أتى أنا يا حمل الله الوديع

كما أنا ولست أبقى كي أزيل عيباً من العيوب والحمل ثقيل

إليك يا من دمه يشفي العليل أتى أنا يا حمل الله الوديع

كما أنا أعمى شقي وفقير فيك الشفاء النور والغنى الكثير

نعم وكل حاجتي أيا قدير أتى أنا يا حمل الله الوديع

كما أنا تقبلني في صفحك مرحباً مطهراً ببرك

لأن قلبي واثق بوعدك أتى أنا يا حمل الله الوديع

الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراويل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل